**-الدّرس (09):الصوتيات التركيبية(1)**

إنّ الصّوتيات التركيبية تهتمّ بدراسة التغيرات التي تطرأ على الأصوات أثناء تجاورها ، في إطار قانونين هامين ذكرناهما في التمهيد، وهما : قانون الاقتصاد اللغوي ، وقانون القوة.

وبالتالي فالتغيرات التي تطرأ على الأصوات ، البعض منها يؤدي إلى تغيير في حجم المقطع ، وإلى ضم مقطع إلى مقطع آخر حتى بين الكلمات ، مما يجعل من الممكن أن يربط مقطع صوتي بين كلمتين ، هذا باعتبار أن الجملة هي سلسلة صوتية ، والذي يحدد حدود الكلمات هو مواضع الوقف بدرجاته (مدده) المختلفة، وفيما يلي أهم تلك التغيرات الصوتية التي تحدث أثناء التأليف الصوتي للجملة أو للكلمة وهذا لهدف تحقيق الانسجام الصوتي أثناء الأداء. وهي لا تخرج على أن تكون إما مماثلة أو مخالفة.

**1-المماثلة الصوتية:**

إنّه من الطبيعي أن تأتلف الأصوات في أية لغة في شكل مجموعات من المقاطع كما أسلفنا الذكر، هذه المقاطع تؤلف بدورها الكلمات ، والتي بدورها تتكون منها الجمل والعبارات.

ولا ريب في أنّ عملية الاقتصاد في الجهد العضلي الذي تؤديه أعضاء النطق بما فيها الجهاز التنفسي، هي عملية مقصودة عند المتكلمين بلغة ما ، فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجا وصفة سَهُل نطقها وتحققت لها السلاسة والانسجام ، وبالتالي لا تحتاج إلى تعديلات أو تغير، أمّا إذا كانت متنافرة في ذلك فإنّ جهاز النطق يتعثّر في النطق بها، وهنا يلزم نوع من التغيير في بعض جوانب تلك الأصوات المتجاورة ، كي يتمكن الناطق من تأديتها دون معاناة أو نفور. فالمماثلة هي تقريب صوت من صوت لغرض التسهيل .

يقول إبراهيم أنيس: «الأصوات في تأثّرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصّفات أو المخارج، ويمكن أن يسمى هذا التأثّر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة ، وهذه الظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أنّ اللغات تختلف في نسبة التأثّر وفي نوعه»[[1]](#footnote-2).

فإذا كان النطق بالصوتين المتجاورين أمرا صعبا يستلزم جهدا كبيرا لجأ صاحب المتكلم إلى الطريقة المؤدية إلى التسهيل ، بتغيير أحدهما حتى ينسجم إحداهما مع الآخر ، وتُسمى هذه العملية المماثلة ، وهي ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، لكن مع اختلاف بينها في نسبة استخدامها ، وفي أماكن استخدامها(الشروط).

فإذا تجاور صوتان ، وحدث أن تأثّر أحدهما بالآخر أطلق العلماء على هذا التأثر إصطلاحين هما: (التأثر الرجعي والتأثر التقدّمي): فإذا تأثر الصوت الأول بالثاني يسمى (التأثر الرجعي) ، وإذا تأثّر الثاني بالأول يسمّى (التأثر التقدّمي). وهذان النوعان من التأثّر موجودان في اللغة العربية ، وأكثرهما النوع الأوّل (الرجعي).

والآن ينبغي أن نمثّل للنوعين وما يتطلبانه من شروط.

-إنّ من المعروف أنّ أصوات الإطباق تمدّ نفوذها على ما دونها درجة في الإطباق أو غير المطبقة، فتؤثر في الاتجاهين (رجعيا وتقدّميا) . ونفس الأمر يُطلق على المفخمات ، حيث نحتاج إلى تفخيم غير المفخّم، لكن هذه التأثيرات تحدث بصورة غير واعية ، لكن يميزها ابن اللغة عندما يسمعها من غير ابن اللغة. لكن على اجهزة التحليل الصوتي تظهر التغيرات جلية.

وفي ما يلي مثالان عن ذلك:

-التأثّر التقدّمي: مثل زجر عندما نضيغ منها صيغة افتعل ينتج (ازتجر) ولكن لتأثير جهر الزاي على التاء تتحوّل هذه الأخيرة إلى دال فنقول(ازدجر).فالصوتان/ز/ و/ت/ قريبان في المخرج لكنهما يختلفان كليا في الصفة. والتاء هنا تحوّلت إلى /د/ المجهور بالطبع.

-التأثّر الرّجعي او المتأخّر: مثل تأثّر اللام بالحروف الشمسية حيث تذوب تماما فيها، حيث تؤثّر المهموسات الشمسية في اللام المجهورة.حيث تقلب اللام في كل حالات حسب الحرف الذي تجاوره، فينتج حرفا مشدّدا الشّمس—اَشْشَمْسُ.

لكن بعد أن عرفنا السبب العام لهذا التغيير والمتمثل في الصعوبة في نطق المتجاورين ، إلا أنّ التغيّر يكون حسب سبب هذه الصعوبة أو تلك ، ويقسمها العلماء إلى:

**أ-تغيّر في المخرج:** فقد يؤدّي تجاور صوتين متباعدين في المخرج إلى نقل أحدهما إلى مخرج الآخر ليتحقق الانسجام الصوتي. ومن ذلك تجاور النون الساكنة مع الباء .

مثل: تحول النون السّاكنة قبل الميم إلى باء، فهنا التغيّر كان في المخرج (منْ بَعدُ) فنقول )ممْ بعد).

**ب-تغيّر في الصفة:** ويحدث إذا التقى صوتان متحدان في المخرج ومحتلفان في الصفة ، كأن يختلفا في الجهر والهمس ، فإنّ الانسجام الصوتي لا يتحقق إلا بتحوّل احدهما إلى صفة صاحبه ، فيكونان مجهورين أو مهموسين، لكن صفة الجهر أقوى وهي غالبا ما تستحوذ على أغلب التغيرات في الصفة.

مثل:ازتان عندما تحوّلت إلى ازدان فالتاء تحوّلت تماما إلى دال التي صفتها الجهر آ غير مصفة الهمس في التاء.

**ج-تغيّر المخرج والصفة معا:**  إذا تجاور صوتان متقاربان في المخرج ، ومختلفان في بعض الصفات فقد يقتضي تحقيق الانسجام الصوتي قلب أحدهما إلى صورة الآخر، وبذلك ينتقل من مخرجه إلى مخرج صاحبه ، وتتغير بالتالي صفاته ، وهنا يتماثل الصوتان ، فيدغمان تماما، وذلك ما يحقق الاقتصاد في الجهد العضلي.

مثل:اطتلع –اطّلَعَ حيث اختفت التّاء تماما فتحوّلت إلى طاء وتخلّت عن صفتيها الانفتاح والتوسّط في الشدة للتحوّل طاء مطبقة وشديدة.

وعليه فالمماثلة تحقق الانسجام الصوتي في السلسلة الصوتية أثناء النطق بها ،فعندما تتجاور الأصوات تحتاج عملية النطق إلى إعادة الضبط ، وفي كثير من الأحيان ينعكس هذا على المكتوب ، وفي حالات كثيرة لا ينعكس.

**2-الإدغام:** هو ظاهرة من الظواهر التي تحدث ضمن إطار عام هو المماثلة ، أو لنقل هو نوع من أنواع المماثلة، يحدث وفق شروط معيّنة. أمّا لغة فهو إدخال صوت في صوت لكي نسمح للسان بتأدية عمل واحد عوض تأدية عملين ، مما يسبب سهولة واقتصادا في الجهد .

يقول إبراهيم أنيس:«قد يترتّب عن تجاور صوتين متجانسين أو متقاربين أنّ احدهما يفنى في الآخر، وهو ما اصطلح على تسميته في كتب علم القراءات بلإدغام، ولإدغام يتمّ في بعض الأحيان بحدوث أكثر من نوع من أنواع التأثّر السابقة»[[2]](#footnote-3)

وينقسم إلى صغير(ناقص) وكبير (تام)، فالصغير هو الشائع وهو ما سُكّن فيه الحرف الأوّل ، والكبير ما تحرّك فيه الحرف الأول ، وبالتالي يلتقي المثلان ، والمتجانسان والمتقاربان:

-فالمثلان: هما المتفقان في المخرج والصفة ، كالتّاءين والراءين وغير ذلك.

-المتجانسان: هما المتفقان في المخرج المختلفان في الصفة ، كالتاء والطاء، والسين والصاد.

-المتقاربان: هما الصوتان الذان بينهما تقارب في المخرج أو في الصفة ، او فيهما معا، كالدّال والسين، والشين والذّال ، والزاي واللام.

فإذا **سكن الأول وتحرّك الثاني في المثلين فالإدغام واجب**. وهذا خارج عن إطار المماثلة .

أمّا لقاء **المتجانسين** كإدغام **القاف في الكاف** ، مثلل:(لم يَخْلُ**قْكُ**مْ) ، حيث تُنطقُ القاف كافا دون شعور. و**الطاء في الصاد** في مثل ا**صط**بر حيث تُنطق **اصّبر** ، وبين الضاد والطاء في مثل ا**ضط**جر تُنطق **اضّجر**، هذا في الكلمة الواحدة، وفي كلمتين كإدغام **التاء في الطاء** مثل: (وقال**تْطا**ئفة ) ، والذّال في الظاء مثل:(إ**ذْظَ**لَمتم) ، واللام في الراء في قوله تعالى:(ب**لْر**ان على قلوبهم)، والسين في الزاي في (وإذا النفو**سز**ُوِّجتْ) .

وفي **المتقاربين** إدغام **النون في الميم** في مثل: **إنمحى** حيث تُصبح **إمّحى** و**التاء في الثاء** في مثل: إتثاقل حيث تُصبح **إثّاقل** والدال في الذال أو الزاي أو الظاء ، كما في قوله تعالى: ولقد ذرأنا –ولق**دذ**رأنا. ولقد زيّنا –ولق**دز**يّنا . لقد ظلمك –لق**دظ**لمك.

وللإدغام حالتان :

-إحداهما يفنى فيها أحد الصوتين في الآخر ، كما في الأمثلة السابقة، وهنا يُسمى الإدغام الكامل.

-ثانيهما: لا يتم فيه فناء أحد الصوتين في الآخر ، بل تبقى بعض آثار الصوت الفاني ، كبقاء غنة النون بعد إدغامها في الواو أو الياء إذا تجاورتا وسبقت النون الساكنة ، كما في قوله تعالى : وم**نْ** يفعل فتصبح ومن يفعل ، وفيه إخفاء للسكون ولجزء من الغنة، ويُسمى في هذه الحالة إدغاما ناقصا.

ونظرا لأنّ الإدغام إدخال صوت في صوت آخر عُدّ من نوع التأثر الرجعي . كما أنّ جميع الأصوات تقبل الإدغام إلا أصوات الحلق فإنها تستعصي على ذلك لأنها لا تقبل الفناء في غيرها.

1. -إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، 1999،ص:145. [↑](#footnote-ref-2)
2. -إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،ص:151. [↑](#footnote-ref-3)